نظرات لغوية تقابلية في التراث العربي الإسلامي بين العربية والهندية والفارسية عند البيروني

أ. د. عباس علي السوسوة(*)

مدخل:

في تراثنا العربي الإسلامي نظرات لغوية (تقابلية) متفرقة منذ القرن الثاني الهجري وما تلاه، نجدها عند فئات مختلفة من العلماء والكتاب اهتماماتهم متنوعة، ما بين النحو والمعجم والبلاغة والإناسة المقارنة والرحلات والفلسفة. بعض النظرات جاء عرضاً لمناسبة سبقت في الكلام، وبعضها جاء قصداً للمقابلة بين مستويين لغويين ينتميان إلى لغة واحدة أحدهما يعد فصيحها والآخر يعد ملحونها كما في مؤلفات لحن العامة؛ وبعضها ألف قصداً في الألفاظ التي اقترضتها العربية من ألسنة أخرى فأجرى عليها المعربون تغييرات في أصواتها وأبنيتها لتتناسب مع أنظمة العربية كما في كتب المعرب والدخيل ومواضع متفرقة من معاجمنا القديمة.

قليل جداً من هذه النظرات كان متفرداً، سابقاً لمعطيات العصر الذي أُنشئت فيه، فنظرت إليها بعين التعاطف نظراً إلى السياق الثقافي الزمني

(*) جامعة تعز، أستاذ اللسانيات.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٩/ ٦/ ٢٠٢١م.

الذي أُنتجت فيه، وفي الوقت نفسه أحللها وأعللها وأنتقدها، راجياً أن أكون قد وفقت فيما رُمت.

من اللازم **ضبط مكونات العنوان**؛ قلت: (نظرات لغوية تقابلية)، ولم أقل: (علم اللغة التقابلي) أو (اللسانيات التقابلية)؛ فأغلب الأعمال من قبيل الأنظار – إن شئتَ النظرات والملاحظات – المتفاوتة في مدى اقترابها من أفكار زماننا. وليست هذه الدراسة المتواضعة مناقبية غايتها التسبيح والتمجيد لأسلافنا وتراثنا، وفي الوقت نفسه ليست إسقاطية تروم حشرها قسراً في ثياب معاصرة. إنما هي محاولة للقراءة في سياقها الزمني الثقافي، منطلقة من عصرنا ومعطياته.

وقد اجتمع تمجيد تراثنا مع حشره في ثياب معاصرة في «نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي»[(١)]، وهدفها بيان أسبقية العرب القدامى قبل علماء الغرب (ص٢٤٢)، ومن أسئلتها: هل وجدت دراسات تقابلية قديمة بين العربية وغيرها؟ وأجاب: إن تعلم اللغات ودراستها كان معروفاً من العصر الجاهلي!! فنجد ألفاظاً رومية وفارسية في شعر الأعشى وامرئ القيس كالسجنجل والديابوذ! (ص٢٤٤). وكل ما عُـرِضَ لم يتعدَّ كتاب سيبويه باب اطراد في الفارسية (هكذا) (٢٤٥)، ونظرات للجاحظ في البيان والتبيين (٢٤٦–٢٤٨). وختم واثقاً (٢٥٠) أن علم اللغة التقابلي ليس جديداً إلا باسمه، فهو موجود منذ الخليل وسيبويه والجاحظ والسيوطي!

وفي العنوان (في **التراث العربي الإسلامي**) ليدخل فيه من كان مسلماً، عربياً كان أم غير عربي، شريطة أن يكون عمله مكتوباً بالعربية. وفي العنوان

(١) لجاسم علي جاسم وأخيه زيدان، مجلة التراث العربي – دمشق، العدد ٨٣–٨٤ سبتمبر ٢٠٠١، ص٢٤٢–٢٥١.

(**نظرات**) بالتنكير حتى لا نُطالَبَ بالشمول الذي ليس في إمكاننا. **ووصفنا النظرات بالتقابلية** باعتبار ما أصبح مستقراً منذ عقود في أدبياتنا من أن دراسة نظامين لغويين بغرض معرفة أوجه الخلاف بينهما تعد دراسة تقابلية contrastive، ولست في حاجة للتنبيه على أن هذين النظامين قد يكونان: لغتين منتميتين إلى أسرة لغوية واحدة كالعربية والسريانية، أو لغتين كل منهما تنتمي إلى أسرة مختلفة كالعربية إزاء التركية، أو مستويين منتميين إلى لغة واحدة[٢] كالمستوى الفصيح في العربية مقابل أي مستوى آخر فيها، وسواء كان الهدف منها تعليمياً أم لم يكن. ونبدأ باسم الله تعالى **بنظرات سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب**، ثم أنتقل إلى البيروني موضوع البحث.

وأبدأ بأن بعض أعلامنا العظام كانوا سابقين لعصورهم، كالخليل وتلميذه وعبد القاهر والفارابي والجاحظ، وابن خلدون؛ وأزيد أن الثلاثة الأُوَلَ وآخرهم حمالو أوجه يمكن قراءة أعمالهم من وجهات نظر متعددة تتجدد في كل زمان. فإذا اقتصرنا على كتاب سيبويه – موضع كلامنا – فهو قرآن النحو بحق، وهو البحر الذي ينبغي لمن أراد الغوص على درره أن يتأنى ويهابه، و هو لمن أَلِفَ كتب المتأخرين التعليمية مجرد كتاب في

(٢) راجع محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ط٧ دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٤-٢٦، ط١ عام ١٩٧٦، ومحمود إسماعيل صيني وإسحاق محمد الأمين: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨١، ص٧٧-٩٥. وانظر Fisiak,J: Contrastive Linguistics and the Language Teacher .Oxford Univ Press1981

أما أحمد سليمان ياقوت «في علم اللغة التقابلي»، ص٧، والبدراوي زهران «في علم اللغة التقابلي دراسات نظرية»، ص١١، فيجعلانه خاصاً بين لغتين من أسرتين مختلفتين! وليس بصحيح.

النحو والصرف، عبارته ومصطلحاته غير سائغة. وهو عند منتقدي النحو العربي عامة كتاب غير منظَّم ولا مرتَّب تطغى عليه المعيارية لا الوصفية ويسيطر عليه المنطق وأفكار غير علمية كالعامل والعمل .وهو عند آخرين نموذج للسانيات الوصفية. وعند آخرين هو في النحو التوليدي التحويلي في أغلب أطواره ابتداء من النظرية المعيارية فالمعيارية الموسعة. وهو عند قومٍ سابق إلى نظرية السياق بكل مكوناتها حتى إنه يراعي ذلك في وضع القواعد. وهو أيضاً رائد للتداولية.

ولا أزعم هنا أن سيبويه رائد الدراسات التقابلية في تراثنا، بل أزعم أن لديه ملاحظات/ نظرات، يقابل فيها بين العربية والألفاظ الأعجمية/ الفارسية عندما تعرب عند العرب بكثرة استعمالهم لها منذ دهر، وما يحدث لها من تغيير في أواخرها صوتياً، وهل تخضع للأبنية العربية؟، ومتى تنصرف؟، ومتى يمتنع صرفها؟، في أربعة أبواب، خلافاً لزعم فرستيخ أن سيبويه قدم في الكتاب وصفاً كاملاً للعربية ولم يشر إلى الفارسية قط[٣]!

الأول: باب الأسماء الأعجمية «اعلم أن كل اسم أعجمي أُعرب وتمكن في الكلام فدخلته الألف واللام، وصار نكرة، فإنك إذا سميت به رجلاً صرفته، إلا أن يمنعه من الصرف ما يمنع العربي. وذلك نحو اللجام والديباج واليَرَندَج والنيروز والفِرند والزنجبيل والأرندَج والياسمين في من قال: ياسمينٌ كما ترى والسهريز والآجُرُ...»[٤]. واضح أنه يقصد بالأعجمية

(٣) ينظر: كيس فرستيخ: العربية، ترجمة محمد الشرقاوي ٩٧. ولم يذكر علاقته بلغة أخرى في الفصل المخصص لسيبويه في: أعلام الفكر اللغوي، ص٦٥-٨٥، وينظر زَعْمُ جاسم علي وأخيه المشار إليه من قبل «باب اطراد الفارسية»!!.

(٤) كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨م، ٣/ ٢٣٤-٢٣٥.

الفارسية. وهذه لكثرة ترددها في لسان العرب صارت عربية، تكون منكرة تارة وتدخل عليها أداة التعريف، حتى ليفترض أن تسمي بواحد منها إنساناً فتصرفه أو تعامله معاملة الممنوع من الصرف إذا وجدت فيه علل المنع. ونلاحظ أن الأسماء التي مثل بها أبنيتها الصرفية متعددة.

الثاني: باب ما كان من الأعجمية على أربعة أحرف وقد أُعْرِب فكسرته على مثال مَفاعِل. نقل عن الخليل أنهم يلحقون جمعه الهاء كثيراً مثل «مَوزَج وموازجة، وصَولَج وصوالجة، وكُربُج وكرابجة، وطَيلسان وطيالسة، وجَورَب وجواربة. وقد قالوا: جواربُ وكيالج جعلوهما كالصوامع والكواكب. وقد أدخلوا الهاء أيضا فقالوا: كيالجة، ونظيره في العربية صيقل وصياقلة، وصيرف وصيارفة، وقَشعَم وقشاعمة، فقد جاء إذا أُعْرِب كمَلَك وملائكة (...) وكذلك إذا كسرت الاسم وأنت تريد: آل فلان أو جماعة الحي أو بني فلان (...)المَسامِعَة والمناذرة والمهالبة والأحامرة والأزارقة (...)» يريد أن الألفاظ الأعجمية إذا تعربت وجُمعت جمع تكسير يكون على مثال مَفاعِلَة، فمثلها مثل العربية تلحقها الهاء أو لا تلحق، ويكون مَفاعِلَة لجموع البشر المنتمين لحي أو قبيلة ونحوهما(٥).

الثالث: باب ما أُعْرِب من الأعجمية. يرى أن العرب كثيراً ما يغيرون الحروف الأعجمية التي ليست من حروفهم، وأنهم أخضعوا الألفاظ لأبنية العربية مثل درهم وبهرج ودينار وإسحاق و يعقوب وجورب، وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم بغض النظر عن البناء، بتفصيل كاف(٦).

(٥) كتاب سيبويه ٣/ ٦٢٠-٦٢١.

(٦) ينظر كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٣-٣٠٤.

الرابع: باب اطراد الإبدال في الفارسية. في ثلاث صفحات يذكر الإبدال المطرد لحروف الفارسية إذا دخلت العربية بتفصيل شديد، للأصوات التي لا توجد في العربية، وللأصوات التي لا تثبت في الفارسية وصلاً أو وقفاً، ويعلل لكل؛ ولتغييرهم بعض الحركات؛ ويذكر الإبدال غير المطرد في الحروف المشتركة بين اللغتين(٧).

وهذا سبق زمني واضح منه لكل من تحدث بعده عن المعرب.

والآن نأتي إلى موضوع بحثنا **البيروني (٣٦٢-٤٤٠) في «تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة»**(٨).

هو أبو الريحان، محمد بن أحمد البَيروني(٩) الخوارزمي، رياضي متفلسف مؤرخ مهندس فلكي، اطلع على فلسفة اليونان والهنود، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره من الغزنويين وغيرهم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده. صنف كتباً كثيرة منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية طُبِع وتُرجِم إلى الإنجليزية، الاستيعاب في صنعة الأسطرلاب، الجماهر في معرفة الجواهر، تاريخ الأمم الشرقية، القانون المسعودي في الهيئة والنجوم والجغرافية، تاريخ

(٧) كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥-٣٠٧.

(٨) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العلم أو مرذولة، بعناية إدوارد سخاو، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٩٥٨، صورته الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر ١٩٩٩. وقد ورد سخو، وسخاو معاً.

(٩) في ضبط بائه: جاء في: كتاب الأنساب للسمعاني ٢/ ٣٩٢ بكسر الباء الموحدة، وتابعه ابن الأثير في اللباب ١/ ١٩٧، وليس في معجم البلدان لياقوت ج١/ ٥٢٤-٥٢٦ موضع باسم بيرون أصلاً، ولكن في معجم الأدباء، ج٥، ص٢٣٣٠-٢٣٣١، تحقيق إحسان عباس أن بيروني - دون ضبط - معناها البراني لمن هو خارج البلد، وأنه رأى فهرست كتبه في ستين ورقة. وفي الصفدي ٨/ ١٣٨ بفتح الباء الموحدة وكسر الياء آخر الحروف... ونقل المعنى (البراني) عن ياقوت.

الهند طُبِع وتُرجِم إلى الإنجليزية، الإرشاد في أحكام النجوم[١٠].

وفي الوافي بالوفيات أنه «عاصر ابن سينا وبينهما أسئلة وجوابات... دخل صحبة السلطان الغزنوي بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم، وأقام بغزنة حتى مات عن سن عالية... له الجماهر في معرفة الجواهر والصيدلة ومقاليد الهيئة... والقانون المسعودي وتحقيق ما للهند من مقولة»[١١].

كان كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» قد طبع أول مرة في لندن بعناية إدوارد سخو مع ترجمته إلى الإنجليزية ١٨٧٩، وطبع ثانية في ١٩٢٣.أما «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» فطبع بعناية سخو نفسه ١٨٨٧ في ٣٦٥ص للمتن العربي ومقدمة بالإنجليزية في٤١ص. وترجمه إلى الإنجليزية ١٨٨٨[١٢].

ليس الكتاب خالصاً للغة، بل هو دراسة إناسية للهند في القرن الهجري الخامس دراسة موازنة / تقابلية contrastive **في** الأديان والمعتقدات والعادات والتقاليد الاجتماعية، من تعدد أنواع الزواج[١٣]، وكثرة أنواع الجهنمات - نار الآخرة مستقر العصاة - واختصاصاتها بأنواع المذنبين[١٤]، وظواهر لغوية، باعتبار اللغة الحامل الرئيسي لكل ما سبق. يتضح من

(١٠) خير الدين الزركلي: الأعلام، ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٥، ٦/ ٢٠٥-٢٠٦، وأحال على عدة مصادر.

(١١) الصفدي: الوافي بالوفيات ٨/ ١٣٨-١٤٢ تح س.ديدرينغ، وقد سها فجعله أحمد بن محمد.

(١٢) انظر: يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨، ج١/ ٦١٥-٦١٦. المحقق عنده سخو وسخاو معاً.

(١٣) البيروني: تحقيق ما للهند ٨٢-٨٤.

(١٤) تحقيق ماللهند ٤٥-٤٩. وأخبرني الزميل أ.د.اشوك كومار سنها، في منزلي بتعز في ١٠مايو٢٠١٠ أن بعض أسمائها الواردة عند البيروني ما زال في اعتقاد الناس في الهند، حتى الآن في حين أن بعضها منقرض.

الكتاب أن زاد المؤلف من العلوم العقلية وفير، فهو ينتقد أرسطو وفيثاغورس وغيرهما كثيرين. وهمنا في الكتاب نظراته اللغوية للهندية مقابل العربية ولغات أخرى.

ونحن لا نحب استباق النتائج غير أن بعض ما عرضه يفيد في تعرّف التطور / التغير في اللغات الهندية لا نجده في مصدر آخر(١٥)، كما يزيل بعض الأوهام والأفكار النمطية الشائعة بين الدارسين عن بعض اللغات وخصائصها سواء أكانت الهندية أم غيرها.

من حديثه عن اللغة الهندية - التي لم يذكر لها اسماً غير هذا - نستنتج من خلال أوصافها المتناثرة في كتابه أنها اللغة السنسكريتية؛ فالعلوم والآداب والأشعار مدونة بها، وهو يصفها بأنها:

١ - «طويلة عريضة تشابه العربية، يتسمى فيها الشيء الواحد بعدة أسامٍ مقتضبة (...) فإنهم يسمون الشيء الواحد بأسماء كثيرة جداً. والمثالُ بالشمس فإنهم سمَّوها بألف اسمٍ على ما ذكروا، كتسمية العرب الأسد بقريب من ذلك، بعضها مقتضبة اقتضاباً، وبعضها مشتقة من الأحوال المتغايرة أو الأفعال الصادرة. وهم يتبجحون بذلك، وهو من أعظم معايب اللغة، فموضوعها إيقاع اسم على كل واحد من الموجودات وآثارها بمواطأة بين نفر يعرف بها بعضُهم عن بعضٍ غرضَه عند إظهار ذلك الاسم بالنطق»(١٦).

ولعل ما ذكره البَيروني يخفف من غُلواء بعض العرب قدماء ومحدثين، الذين يؤمنون بأن من ميزات العربية - دون سائر اللغات - كثرة المترادفات على معنى واحد. ولأن للشمس عند الهنود أهمية أعظم من الجمل والفرس

(١٥) تيواري: فصيلة اللغات الهندية الإيرانية، باتنا: أمربوركر للنشر ص٩.

(١٦) تحقيق ما للهند ١٣و١٨٥-١٨٦.

والأسد والداهية وغيرها من الأشياء والمعاني عند العرب فقد كثرت أسماؤها حتى وصلت إلى ألف. وقد لمس المؤلف بعض أسباب حدوث الترادف، من اختصار للفظ، ووضع للصفة محل الاسم اكتفاء بها، أو الاقتصار على بعض أحواله.

ونحن وإن كنا لا نعد كثرة المترادفات ميزة لأي لغة فإننا لا نوافق المؤلف ولا غيره على عدِّها عيباً يهوّلون من عواقبه، فمستعمل اللغة – أيِّ لغة – لا يتاح له في الموقف اللغوي الاجتماعي المعين هذا المخزون – مهما تكن سعته – لينتقي منه بين بدائل، بل الذي يحضر لديه ما اعتاده أبناء مجتمعه ما بين لفظ إلى ثلاثة، وقد لا يحضره إلا واحد. وليس عند مستعمل اللغة الترف، ولا الحيرة التي أصابت (خِراش) حين تكاثرت الظباء عليه، فلم يدر ما يدع وما يصيد.

وكنا في بحث سابق عن الترادف في اللغة الهندوستانية[١٧] – وهي لغة غير معربة – استخرجنا مترادفات الشمس – وغيرها –وهي: سورَج، سوريي، بهاسكَر، دينكَر، ديواقَر/ g/ [١٨].

وإذا قابلناها بما ذكره البيروني[١٩] – لأنه لم يذكر الألف كلها – وجدنا: سورَج، بهان، ارك، ديباكَر، رَبِ، بِبَتا، هيلُ. ولعل ديواكر هي التي كانت ديباكر، تحولت الباء واواً بجامع الشفوية بينهما في المخرج.

(١٧) «الترادف في اللغة الهندية من خلال السينما» مقبول للنشر في مجلة علامات ١٤٣٩هـ ولما ينشر حتى الآن.

(١٨) الترادف في اللغة الهندية ١٤. وفي البيروني ١٧٤-١٧٥ توكيد أن ألفاظ الشمس ألف، وشرح لبعض اشتقاقاتها. وقد أيد زملاؤنا الهنود في كليتي الآداب والتربية بجامعة تعز ما توصلت إليه وصححوا لي بعض ما سمعته خطأ.

(١٩) تحقيق ما للهند ١٣٧.

والقمر يصاحب الشمس في الذكر عادة، أورد البَيروني من أسمائه: سومَ، جندرُ (جيم منقوطة بثلاث) إندُ، هِمَكُ (على طرف الكاف نقطتان)، شيتَرَشمُ، هِمَرشُمُ، شيتانس، شيتَديدَت، هِمَمَزكُ (ز منقوطة بثلاث تنطق/ J/)[٢٠].

وهي الآن: تشاند، كانت، تشاندَرما[٢١].

ولم يذكر البَيروني مترادفات على الضوء/ النور، وهي في الهندوستانية المعاصرة مستعملة أحياناً مرادفة للقمر، ودخل فيها لفظ عربي كما لا يخفى. وهي: روشني، بَركاش، أوجالا، **نور**، سُندُرتا، سُندُرج[٢٢].

٢- **والمشترك اللفظي أيضاً كثير في الهندية مثل كثرته في العربية،** فالهندية تتميز «بوقوع الاسم الواحد على عدة مسمّيات مُحوِجة في المقاصد إلى زيادة صفات، إذ لا يفرق بينها إلا ذو فطنة لموضع الكلام وقياس المعنى إلى الوراء والأمام، ويفتخرون بذلك افتخار غيرهم به، من حيث هو بالحقيقة عيب في اللغة!(...)»[٢٣].

ويوسع رأيه في أن المشترك عيب في الهندية وفي غيرها قائلاً: «فإذا كان الاسم الواحد بعينه واقعاً على عدة مسميات دل على ضيق اللغة وأحوجَ السامعَ إلى سؤال القائل عما يعنيه بلفظه، فسقط ذلك الاسمُ إما بآخرَ مثلُه يغني وإما بتفسير معرِّف للمعنى. وإذا كان للشيء الواحد أسماءٌ كثيرة ولم يكن سببُ ذلك استبدادَ كل قبيلة أو طبقة بواحد منها وكان في الواحد منها كفاية، اتصفت الباقية بالهمر (هكذا) والهذيان والهذَر، وصارت سبب التعمية والإخفاء أو تحمل

(٢٠) نفسه.

(٢١) الترادف في اللغة الهندية من خلال السينما ١٧.

(٢٢) الترادف في اللغة الهندية ١٨.

(٢٣) تحقيق ما للهند ١٣.

المشاق لحفظ الجملة(!)بلا فائدة غير ضياع العمر»[٢٤].

قلت: لمس المؤلف بعض أسباب نشوء المشترك اللفظي، ومنها تعدد الوضع، وتنوع الاستعمال، حتى يصل الأمر إلى التعمية. وما قلناه عن الترادف نقوله عن الاشتراك، من أنهما إمكانيتان طَبَعَ الله – سبحانه وتعالى – جميعَ خلقه عليهما وعلى غيرهما من إمكانيات اللغة. فليست عيباً يُستحيا منه ولا ميزة يُفتخر بها. أما التعمية بالمشترك فلا تحدث إلا إذا قصد المتكلم إلى ذلك قصداً بالأحاجي والألغاز. وأما ما عدا ذلك فابن اللغة لا يبرز لديه إلا معنى واحد للفظ في الموقف المعين، ولا يقف موقف المتحير أمام كثرة المعاني، إذ لا وجود لها حينئذ. ويبدو أن منكري الترادف والاشتراك أرادوا – تحكماً منهم – أن تكون العربية منطقية أكثر مما أراد لها المناطقة كما قال محسّب[٢٥]. بل إن بعضهم لا يرعوي عن القول بأنه تكثير للغة بما لا فائدة فيه[٢٦]؛ ويزيد أنه فضلة لا يُحتاج إليها[٢٧]. وفي هذا اجتراء على مقام الخالق جل وعلا، ينبغي أن يتورع عنه الحصيف.

وكثرة المشترك في السنسكريتية لاحظه باحثون غربيون وهنود محدثون، ونُقِلَ «أن الكلمة الواحدة قد تفيد أكثر من اثني عشر معنى، ثم عقب على ذلك بقوله: إذا اعتبر تعدد المعنى علامة الحضارة فإن السنسكريتية ربما تزعم لنفسها أنها لغة قوم ذوي حضارة عالية»[٢٨]. ولا تعليق!

---

(٢٤) تحقيق ما للهند من مقولة ١٨٦.

(٢٥) ينظر: محيي الدين محسب: الثقافة المنطقية في الفكر النحوي – نحاة القرن الرابع الهجري نموذجاً ١١٧.

(٢٦) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة ١٣.

(٢٧) ينظر الفروق في اللغة ١٦و١٧.

(٢٨) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م، ص٢٠-٢١.

٣- ولا يقف اهتمام البيروني بالمشترك عند المقابلة بين الهندية والعربية بل يتعداهما إلى اليونانية، فهو يقول: إن «الإله والآلهة عند يونان من المشترك اللفظي، فتارات كثيرة يريدون بها الملائكة المختصة بعمل ما، كأن يقولوا: إله الريح، إله البحر(...) وتارة يريدون به خالق الكون مثلاً»[٢٩]. وبمثله قال سليمان البستاني في ترجمته «إلياذة هوميروس»[٣٠].

٤- وفي مواطن يتحدث عن بناء الكلمة في أسماء أيام الأسبوع فيقول: «عندهم هي أسماء الكواكب السبعة بأشهر أسمائها، ويسمون الموقع من الأسبوع (بار) فيُتبعُ اسمَ الكوكب على هيئة إتباع (شَنبِه) في الفارسية عدة اليوم من الأسبوع[٣١].

فيوم الأحد: آدِت بار، أي: للشمس[٣٢]، ويوم الاثنين: سومَ بار، أي: للقمر؛ ويوم الثلاثاء: مَنكَل بار (بكاف فارسية)، أي: للمريخ. ويوم الأربعاء: بُدبار، أي: لعطارد؛ ويوم الخميس: بَرهَسبَت بار (الباء الثانية مهموسة)، أي: للمشتري؛ ويوم الجمعة: شُكرَبار، أي: للزُهَرَة؛ ويوم السبت: شَنيشجَر (بجيم مثلثة)، أي: لزحل»[٣٣].

---

(٢٩) تحقيق ما للهند من مقولة ٢٦-٢٧.

(٣٠) ينظر: إلياذة هوميروس معربة نظماً وعليها شرح تاريخي، بقلم سليمان البستاني، ط١ بمصر١٩٠٣م، ١/ ٧٨ و٨٢ و٨٣.

(٣١) أيام الأسبوع في الفارسية، روز هاي هفته، من السبت إلى الجمعة: شنبه، يك شنبه، دوشنبه، سه شنبه، جهار شنبه (جيم بثلاث نقط)، بنج شنبه (جيم بثلاث نقط)، جُمعِه. ينظر أحمد كمال الدين حلمي: المرجع في قواعد الفارسية ص١٣. والملاحظ أن العربية وأخواتها أخذت الأيام من الأحد إلى الخميس من الأعداد الأساسية.

(٣٢) في أيامنا: آدت وار، فلعلها كانت/ v/ .والإبدال بين الواو والفاء المجهورة كثير في لغات الفصيلة الهندية.

(٣٣) تحقيق ما للهند من مقولة، ١٧١.

ويرى العالم الهندي تيواري (توفي ٢٣ مارس ٢٠٢١م) أن البيروني كان يصف حال اللغة الهندية الأدبية أيامه في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، وقد اختزل القسم الأخير من الكلمة السنسكريتية vaasara، فأصبح في اللسان الهندوستاني vaar أو وار، وفي البنجابي: vaar، وفي البنغالي بار[٣٤].

٥- ولما كانت أي مقابلة بين لغتين تستلزم الحديث عن وحداتها الصوتية، وحروفها في الكتابة - وهما أمر واحد عند أكثر القدماء - فإن صاحبنا لم ينس ذلك، لكنه اكتفى باختلافها عن العربية والفارسية معاً وصعوبة نطقها وعدم التمييز بينها. وكان للإلف أثر في ذلك. قال: «هي مركبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربية والفارسية ولا تشابهها!، بل لا تكاد ألسنتنا ولهواتنا تنقاد لإخراجها على حقيقة مخارجها ولا آذاننا تسمع (هكذا ولعلها تسمح) بتمييزها من نظائرها وأشباهها»[٣٥].

ويدخل في الاختلافات الصوتية أنه «يجتمع في لغتهم - كما يجتمع في سائر لغات العجم - حرفان ساكنان وثلاثة، وهي التي يسميها أصحابنا متحركات بحركة خفيفة، ويصعب علينا التفوه بأكثر كلماتها وأسمائها لافتتاحها بالسواكن»[٣٦]. وقد أحسن بقوله: (يصعب علينا) لأن للتعود في نطق اللغة منذ الصغر أثراً في السهولة، وأحسن في قوله: (أكثر كلماتها)، فالتركيب المقطعي في الهندية يسمح ببدء المقطع بصامتين.

٦- وللمقاطع أثر في عروض الشعر في اللغات، ذُكر بهذه التسمية أو

(٣٤) ينظر تيواري مرجع سبق: فصيلة اللغات الهندية ١٠-١٣.

(٣٥) تحقيق ما للهند ١٣.

(٣٦) نفسه ١٤.

بغيرها. والبيروني يذكر أهمية العروض عندهم الذي «لا يستغنون عنه، فإن كتبهم منظومة، وقصدهم أن يسهل استظهارها»[٣٧]. وقد اعترف أنه لم يطلع على شيء من كتبهم في أوزان الشعر[٣٨]. وقرر أن «كتبهم في العلوم مع ذلك منظومة بأنواع من الوزن في ذوقهم»[٣٩]. وهنا ينبغي أن نقر للهند بالسبق في المنظومات التعليمية.

وفي موضع يرى أن المتحرك مع ساكن وأكثر يسميه اليونان (سلابي)، ويسمون التفاعيل بالأرجل[٤٠]. وفعلاً فقد نقل السلابي syllabe فلاسفة المسلمين مثل الفارابي (ت٣٣٩هـ) وشرحوه وابتكروا له اسماً عربياً: كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات حركات وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلاً، وهو يمكن أن يقرن به، فإنهم يسمونه الحرف الساكن. وكل حرف غير مصوت قرن بمصوت طويل نسميه المقطع الطويل»[٤١].

٨- **استعمل البيروني الحروف العربية مع تعديلات عليها ليدل على أصوات غير عربية، لكنه للأسف لم يذكر كيف تنطق ولا قاربَ ولا شَبَّه** كما فعل علماء العربية مع الحروف الفروع مستحسنة وغير مستحسنة. وجدنا للكاف ثلاث صور: إحداها كاف بزيادة خط أفقي على ذراعها، فخمَّنا أنها

(٣٧) تحقيق ١٠٥، وأشار إليه أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود ١٢٢. والشعر الهندي كمي، ويسمح بالنبر والإطالة، كما قال الزميل تيواري.

(٣٨) تحقيق١٠٦.

(٣٩) تحقيق ١٤.

(٤٠) تحقيق١١٠.

(٤١) الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير، تح غطاس عبد الملك خشبة، وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٣، ص١١٥٧. وعند ابن سينا شرح أوسع، انظره مع تعليق عبد الرحمن الحاج صالح: «بحوث ودراسات في اللسانيات العربية» موفم للنشر، الجزائر ٢٠١٢م، ج٢، ص١٧٥-١٧٧.

الكاف الفارسية، وإحداها بنقطتين أفقيتين على ذراعها. وللجيم صورتان: إحداهما بثلاث نقط خمّناها الجيم الفارسية، وزاي عليها ثلاث نقط خمّناها الجيم الشامية، وباء بثلاث نقط خمّناها الباء المهموسة. ذكرنا ذلك في مواضعه. وننتهي من الكتاب دون أن نعلم منه عدد حروف هذه اللغة الطويلة العريضة – حسب وصفه –، وقد نقل أحمد مختار عمر عن بولر أن أقدم أبجدية هندية من ٥١رمزاً(٤٢). ويقول منير وليامز في مقدمة المعجم السنسكريتي: إن حروفها ٥٢(٤٣).

ومن الطريف أن يذكر **أن العلماء الهنود يعزون سبب نشأة علم النحو عندهم إلى سبب ديني** متعلق بنطق خاطئ للجملة حَرَّف دلالتها، مثلها مثل حكاية بنت أبي الأسود الدؤلي مع أبيها «... وكان قوانين يسيرة كما وضعها في العربية أبو الأسود الدؤلي»(٤٤).

وخلاصة القول أن للبيروني نظرات تقابلية ناضجة سابقة زمنها – فيها عيوب – بين العربية ولغة الهند في القرن الخامس، وليس عنده علم اللغة التقابلي، وينبغي أن توضع نظراته في سياقها الزماني والمكاني.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت بعض التوفيق. والحمد لله **أولاً** وآخراً(٤٥).

* * *

(٤٢) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود. ص٢٥ وفي٢٧عن آخرين أن عددها ٦٥.

(٤٣) ينظر مقدمة معجمه Williams; M.M: "A Sanskrit English Dictionary; Etymologically and Philologically Arranged.(Motial Banarsidass Publishers; Delhi; 1977, p7.

(٤٤) تحقيق ما للهند من مقولة ١٠٥. وانظر تعليق أحمد مختار عمر في البحث اللغوي عند الهنود ١٤١.

(٤٥) الشكر الجزيل للأستاذ حسين منصور الشيخ الذي نسق البحث.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير الجزري (عز الدين علي بن محمد الشيباني): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد١٩٨٠م.
- أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
- أحمد كمال الدين حلمي: الجامع في قواعد اللغة الفارسية، منشورات ذات السلاسل بالكويت، ١٩٨٦م.
- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٢م.
- البدراوي زهران: في علم اللغة التقابلي، دراسات نظرية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تحقيق إدوارد سخاو، الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر، ١٩٩٩م.
- جاسم علي جاسم وزيدان علي جاسم: «نظرية علم اللغة التقابلي عند العرب»، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٨٣-٨٤، سبتمبر ٢٠٠١م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.
- سليمان البستاني: إلياذة هوميروس معربة نظماً وعليها شرح تاريخي، مط البستاني بمصر، ١٩٠٣م.

- السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد): كتاب الأنساب، صححه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٦٣م.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٣م.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات، تحقيق س.ديدرينغ، فرانز شتاينر، فيسبادن ١٩٧١م.
- عباس علي السوسوة: «الترادف في اللغة الهندية من خلال السينما»، مقبول في علامات في النقد ولم ينشر.
- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج٢، موفم للنشر، الجزائر ٢٠١٢م.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن سهل): الفروق في اللغة، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٣هـ.
- الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ): كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، وزارة الثقافة مصر ١٩٦٣م.

كيس فرستيخ:

- أعلام الفكر اللغوي – التقليد اللغوي العربي، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٧م.
- العربية – تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة بمصر، ٢٠٠٣م.
- محمود إسماعيل صيني وإسحاق الأمين: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، جامعة الملك سعود ١٩٨١م.

- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ط٨، دار قباء بالقاهرة ١٩٩٧م.
- محيي الدين محسّب: الثقافة المنطقية في الفكر النحوي - نحاة القرن الرابع نموذجاً، مركز الملك فيصل بالرياض ١٤٢٨هـ.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت .د.ت.
- يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مط سركيس بمصر ١٩٢٨م.

الأجنبية

- Fisiak;j: Contrastive Linguistics and The Language Teacher.(Oxford Univ Press;1981).
- Tiwari; k.m: Indo-Iranian Languages Family (Patna; Amarpurker Publishers.2000).
- Williams;m.m: A Sanskrit English Dictionary ;Etymologically Philologically Arranged (Motial Banarasdass; Delhi>1977).

* * *

المقالاتُ والآراء